تقديم الشاعر النقدي أحمد فؤاد نجم للمحاكمة

قدمت السلطات المصرية الشاعر الشعبي احمد فؤاد نجم لمحكمة عسكرية بتهمة تحريض الجماهير على الثورة في وجه الممارسات الانهزامية. وقد اصدر الشاعر بياناً سجل بصوته عن محاكمته جاء فيه:

"في الخامس عشر من فبراير عام ١٩٧٨ وقفت انا ومديحي وزميلي الشيخ امام وزوجتي عزة بليغ وسبعة من طلاب كلية الهندسة بجامعة عين شمس لكي نحاكم باعجب تهمة وهي تاليف الشعر وتلحينه وغنائه، وكل ما ارتكبناه من وجهة نظر السلطات المصرية هو اننا نغني للفقراء والجياع، والمضطهدين لا للصوص ونامبي عرق العمال، وندافع عن استقلال وطننا، ونقف بالكلمة واللحن مع شعب فلسطين الذي نسي المتغنون بالسلام انه فقد ارضه دون ان يبادى، احداً بعدوان. ونغني لغد نثق ان سواعد الكادحين ستبنيه على انقاض كل العفن الذي يعيش فيه الشعب المصري. فاذا كان وقوف اي مواطن مصري من غير ضباط الجيش وجنوده امام محكمة عسكرية، امر يدعو للذهول فان وقوف فنانين وادباء وطلاب امام محاكم من هذا النوع امر نترك الحكم عليه لضمائر الادباء والفنانين لا في مصر وحدها ولا في امتنا العربية فحسب ولكن في المعمورة كلها.

واضاف الشاعر التقدمي قائلا :- اننا لا نخاف السجن الذي اصبح مرحلة من حياة كل مواطن يحترم رأيه في مصر.

واختتم بيانه قائلا: -فلنتحد صفاً واحداً لايقاف كل مهزلة يراد بها اهدار الحريات العامة، ولندافع عن حق شعبنا المصري في ان يبدي رأيه في شؤون وطنه وليتوقف الارهاب.

غداً.. عند الشروق سنلتقي

ابراهيم جوهر - جامعة بيت لحم

الساعة الثانية عشرة ظهراً، وشمس حزيران اللاهبة تصب حممها الملتهبة وكانها تعبر عن غضب السماء ... ملابس العمال ملتصقة باجسامهم بينما هم يترقبون انحدار قرص الشمس لعل درجة الحرارة تنخفض قليلاً ..

ـ الله اكبر !! الحرارة مرتفعة جداً، وعلى غير عادتها هذا اليوم. قال "حاتم الظافر" وهو يمسح قطرات العرق المنحدرة من على وجهته .. وما ينتهي من ذلك إلا وتعود كما كانت وكانه لم يمسح شيئاً !!

جباه العمال سمراء داكنة يتخللها بعض البقع البيضاء بسبب الغبار الممزوج بالعرق "وحاتم الظافر" يتململ بنزق قائلاً:

ـ الواحد منا يشتغل تدر حمار قبرصي .. من السابعة صباحاً ولغاية الرابعة مساءاً، تماماً مثل الآلة دونما توقف أو استراحة .. نصف ساعة لتناول الطعام، واذا استرحنا خمس دقائق زيادة فإنه يقيم الدنيا على رؤوسنا ولا يقعدها. حياة زفت. قال ذلك، ثم بصق واتكأ على الطورية وأغمض عينيه حتى أيقظه صوت مراقب الورشة.

ـ سوف احسم لك ساعة من وقت العمل .. أنت كسول، يا أستاذ حاتم!!

ـ ولكن يا ...

ـ لا تراجعني. (قاطعه بعصبية) وأدار له قفاه: سمين وممتلىء، ورائحته كريهة ..

بقيه العمال ينظرون الى بعضهم البعض وعيونهم ملأى بالحقد والكراهية لقساوة المراقب وبخل صاحب العمل. أحسوا جميعاً بالاهانة التي وجهت "لحاتم" من قبل المراقب فشخصوا أبصارهم نحو السماء وكانهم يبحثون عن الحل .. فتصدتهم أشعة الشمس الحارقة .. فكتم كل منهم غيظه بصدره .. وبلع حاتم ريقه وسكت على مضض.

"وحاتم الظافر" هذا كان قد حصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية وكان يعرف في الجامعة باسم "اديب الجامعة" . تقدم بطلب وظيفة الى مدارس شتى ولكن الجواب كان دائماً:

" ـ يوجد من هو اكفا منك..!!"

فيحاول اقناعهم بعمل اختبار للمتقدمين واختيار الاكفأ، ولكن دون جدوى. حالتهم المادية تعيسة للغاية، والده فقد رجله اليمنى في حادث طرق وهو يعمل سائقاً لسيارة الشحن الكبيرة الي يملكها "ابو عيسى" المرابي الكبير في القرية. أخوه متزوج وعنده ستة اطفال.

والان بعد ان تخرج واتى اليوم الموعود.. الذي كان الجميع ينتظرونه بفارغ الصبر، ماذا سيعمل؟! وامه الحزينة ماذا سيكون موقفها وهي التي كانت تعد والده:

ـ غداً سيتخرج حاتم ويحصل على الوظيفة. لا تحزن ربك سيفرجها علينا....

عقارب الساعة ثابتة لا تدور.. فالدقيقة كإنسان ضخم الجثة يتحرك ببطء او كأبي عيسى عندما يملأ بطنه بأطايب الطعام ويحاول السير... هكذا تخيلها حاتم وهو ينتظر ساعة الانتهاء من العمل بعد ان قرر في دخيلة نفسه الا يعود ثانية للعمل في هذه الورشة بالذات .

لم يكمل يوم عمله.. بل جاءه المراقب يحمل بطاقة العمل فلوح له بها قائلا:

ـ لا نريدك ان تعمل.. الفوضى والمطالبة بارتفاع الاجور والاضرابات و... و... كلها بسببك.

صورة والده العاطل عن العمل ووالدته واخوه باولاده الستة وطلبات الوظيفة التي كانت ترفض باستمرار لانه تعلم في دولة "ملحدة" والاوضاع المتردية داخل البلاد والظروف المعيشية الصعبة... كلها صور دارت في مخيلته في تلك اللحظة وكانها شريط سينمائي محزن.

مد يده ببطء. اخذ البطاقة. ودع زملاءه في العمل:

ـ غداً سياتي دوركم حالما يستغنون عن خدماتكم.. ولكن لا تياسوا. الى اللقاء، الى اللق... لم يستطع ان يكمل كلمته، فتشرخ صوته واختنقت بقية الكلمة في فيه.. ونزلت دمعتان من عينيه فانحدرتا من على وجنتيه.. فادار ظهره وقفل عائداً الى...

ـ الى اين ساذهب (سال نفسه بمرارة) لا بد وانه يوجد من امثالي الكثير في هذا العالم.. ولكن، هل هم في دوامة مثلي يا ترى؟! (سال بياس وهو يعلم الجواب)

تابع سيره متوقفا بين الحين والاخر ومسائلاً نفسه:

"محمود ابن جيراننا ورفيق صباي.. في معظم الليالي يتواجد عنده مجموعة من الاصدقاء.. اتراه قد عرف الطريق السليم واتبعه!!

زم شفته السفلى:- ربما

ـ لا..لا..(استدرك قائلاً لقد كان يدعوني ايام المدرسة باستهزاء.. وكان يسميني "الاحمر" ثم يتبعها ضحكة عالية.. لا، لا اعتقد ذلك.

خف الخطى مسرعاً في المسير. توقف فجأة. احس انه بحاجة لاشعال سيجارة. مدّ يده الى جيبه لشراء علبة سجاير. فاخرجها مثلما ادخلها خالية الوفاض. فضحك من نفسه وقال بشيء من اللوعة:

ـ ما هذه الحالة التعيسة؟ هل سنبقى هكذا: بؤس وشقاء، فقر وعدم، لا.. لا، حدسي يحدثني باننا كثيرون، وهذا عصر انتصار الشعوب.. لقد آن لك ايتها الغيوم ان تتبددي.. و آن لك ايتها الشمس ان تشرقي فإنني احس بدفء شعاعك الاتي من وراء الكواليس...

وجد نفسه فجأة امام بيت "محمود" ولم يعرف كيف قادته قدماه الى هنا، وكانه لم يقطع هذه المسافة الطويلة سيراً على قدميه. دق على الباب دقات واهنة فاطل عليه "محمود" يحمل كتاباً بيده. وبعد عدة تساؤلات من جانبه "حاتم" سال اخيراً: ـ الى اين وصلت بالقراءة؟؟

ـ انظر .. انظر يا حاتم الى قول انجلس: "ان تاريخ الانسان يبدأ بالاشتراكية، وكل ما سبق الاشتراكية هو انفصال عن الحيوانية والهمجية".

ـ محمود .. (هتف بلهجة الفرح الشديد) انت، انت منهم؟؟

فاومأ له برأسه علامة الايجاب.

فصفقت جوانحه فرحاً، واسند راسه على الكرسي ليستريح قليلاً واغمض عينيه وصورة العمال الحيرى تتلاعب برأسه.

مع الكتب

التراث الفلسطيني والطبقات

عن منشورات صلاح الدين صدر كتاب جديد للاديب الفلسطيني على الخليلي تحت عنوان (التراث الفلسطيني والطبقات) والكتاب نفسه صدر في بيروت. وهذا اول كتاب يصدر في الارض المحتلة للكاتب. وقد اعتمد المؤلف في دراسته للتراث النظرة العلمية ويتضح هذا من خلال الطريقة التي عالج فيها المؤلف التراث الشعبي الفلسطيني.

وقد قسم الكاتب كتابه الى ثلاثة فصول، كما انه اورد في النهاية مجموعة كبيرة من الامثال الشعبية الفلسطينية. والفصل الاول من الكتاب (مدخل الى دراسة المثل الشعبي) يحدد فيه الكاتب الاساس الذي يدرس فيه الامثال، ويرفض الكاتب دراسة الامثال على اساس كون المثل الشعبي قولا مناسبا في ظرف مناسب، ويدرس مثلين يبدوان في الظاهر متناقضين لكنهما في الحقيقة افرازات لظروف طبقية معينة. كما يرفض الكاتب الدور الوظيفي لدراسة التراث (اللغة والشكل) لانها دراسات رسمية تعبر عن وجهة نظر رسمية سلطوية (دراسات فوقية)، كما ان التنظير البرجوازي (خير الامور الوسط) مرفوض من قبل الكاتب، لان حدة التناقضات والعنف تبرز في امثال العامة.

ويحدد الكاتب في هذا الفصل ايضا وجهة نظره بالنسبة للتراث، فهو يرفض النظرة المطلقة الى السلف الصالح، كما يرفض النظرة الى التراث على اساس الانتقاء، كما يرفض رفض التراث كليا، ويرى ضرورة محاولة اعادة امتلاك التراث على اساس ادوات

وهو ايضا في هذا الفصل يرفض المفهوم التقليدي للشعب، وينظر الى الشعب من منظور ماركسي - لينيني، لان الفهم الصحيح للشعب يتمثل في النضال الشامل من اجل الاشتراكية وضد البرجوازية وبالتالي فإن الشعب وفي المرحلة المعنية لا يضم الا العمال الفلاحين والفقراء.

ويركز الكاتب على المثل - كنمط من انماط التراث - لان المثل يستوعب الاغنية والحكاية والاسطورة والشعر الشعبي، ولان له اهداف اكثر اهمية حيث يعكس ظروف الواقع الاجتماعي والسياسي المعاشي. وهو يتحول الى اداة من الادوات التي تطمح الى التحويل والتغيير وصناعة الانسان.

وفي الفصل الثاني يدرس الكاتب المجتمع الفلسطيني من سنة ١٩٠٠ - ١٩٤٧ من خلال امثاله، حيث عاش المجتمع الفلسطيني خلال هذه الفترة صراعه مع ثلاثة انماط من الاستعمار: العثماني والبريطاني والصهيوني، كما عاش صراعه الطبقي ضد القوى التي ارتبط وجودها بوجود كافة انماط واشكال الاستعمار. ويناقش الكاتب الصراع الطبقي للمجتمع الفلسطيني من خلال قول ويلهلم رايش حول تعريفه للوعي الطبقي: (ان الوعي الطبقي للجماهير الواسعة - باستثناء اقلية ضئيلة من الشغيلة الواعين ثوريا - هو من طراز شخصي محض نلمحه من خلال همومه اليومية). وقد قسم الكاتب المجتمع الفلسطيني الى خمس طبقات: طبقة الاقطاع، طبقة الفلاحين، طبقة التجار، طبقة العمال، والبدو

لدراسة امثالهم الشعبية وكيف ان المثل الشعبي انعكاس لواقع كل طبقة. وبالنسبة لطبقة البدو فلم يتعرض الكاتب لبحث عادات واعراف وتقاليد البدو وبتفاصيل تراثية والسبب كما يذهب اليه على الخليلي هو عدم امتلاك مثل هذا التراث الشعبي الخاص بالبدو. ولهذا فقد جاء هذا القسم من الفصل الثاني مختلفاً عن دراسته لباقي الاقسام الاخرى.

ولعل المأخذ الوحيد على هذا الفصل هو ان الكاتب حصر المثل في الفترة ما بين عام ١٩٠٠ - ١٩٤٧ ولم يتابع دراسة المثل الشعبي بعد عام ١٩٤٧ وحتى الان، وربما تطور المثل الشعبي وظهرت امثال جديدة نتيجة للتغير، الذي حل بالشعب الفلسطيني وبالتالي تركز الصراع في نمط واحد وان عاش صراعه الطبقي ايضاً مع السلطات والفئات المرتبطة بها، كما ان واقع النفي والاغتراب والتعذيب اضاف الكثير على واقع امثالنا. ونأمل ان يدرس الكاتب هذه الفترة ويصدرها في كتاب لاحق.

والفصل الثالث الاخير فقد افرده الكاتب للمرأة، وقد أثر تخصيص فصل مستقل للمرأة لتمايزها في القهر والاضطهاد، وفي هذا الفصل يناقش على الخليلي المرأة من حيث نظرة المجتمع الاقطاعي - الثقافة الرسمية لها، وكذلك يناقش المرأة في الثقافة الشعبية. ويتحدث عن نظرة المجتمع للمرأة من خلال امثال "ملاقة".